

الرواية . ولم أحاول الإثبات أو النفي - وإنما عرضت وجهات النظر النقدية من خلال كاتبين " ناقدین " - يشار إليهم بالبنان فى علم المسرحية . ثم استعرضت جهود مجدي جعفر وكيف استفاد؟ أو كيف تمت له عملية التوظيف - على المستوى الموضوعي والفني ؟

خامسا : الخاتمة

سادسا : المصادر والمراجع

ما قبل الكلام

١- الرواية في الأدب العربي

٢- الرواية ووظيفتها الإنسانية والاجتماعية

٣- أهمية الرواية بالنسبة للمجتمع

obeikandi.com

١ - الرواية فى الأدب العربى .

عرف الأدب العربى منذ القدم ، القصص بمعناه المتعارف عليه ، ولا يستطيع أحد أن ينكر وجود القصص والأساطير والخرافات ، التى كانت شائعة قديما ، بل إن العربى ارتبط فى واقعه الاجتماعى والتاريخى ، بما يؤيد هذا الاتجاه ، فضلا عن أن الأمم فى أطوارها المختلفة لا تنس أيامها ووقائعها المعروفة بينها ، فهى جزء منها ومن تاريخها .

وبالعودة إلى تاريخ العرب يلاحظ أن العربى القديم . كان يهتم بحفظ وقائعه ، ومآثره وحروبهم ومفاخره ، ويردد ذلك فى الأندية والمحافل المختلفة ، فكانت تتسج القصص بمختلف موضوعاتها واتجاهاتها ، فهناك الخرافة والأسطورة والموعظة ، والقصص الحربية التى يمتدح فيها الأبطال المنتصرين ، ويذم فيها المنهزمين .

من ذلك يتضح أن للعرب القدامى " قصص واقعى ، يتمثل فى أيام العرب ، ويدور حول وقائعهم الحربية .. وكان لهم قصص عاطفى ، كالذى ذكروا بين المنخل الإشكرى والمتجردة زوج النعمان بن المنذر ، أو كالذى كان بين المرقش الأكبر وصاحبته أسماء بنت عوف^(١)

وهناك قصص آخر أخذها العرب عن غيرهم ، وصاغوه فى أسلوب يتفق مع أذواقهم ، " وكان النضر بن الحارث فى مكة ، وهو طبيب ومثقف ورحالة ، وكثير الذهاب إلى بلاد فارس والحيرة ، يعارض النبى صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، إذا جلس الرسول مجلسا فذكر بالله ، وحذر قومه مما أصاب غيرهم من الأمم ، خلفه بمجلسه وقال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلما إلي ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ، وقصة رستم واسقنديار ، وكان على النضر أن يدفع ثمن

^١ - القصة القصيرة دراسات ومختارات - د/ الطاهر مكى ص ١٨

ذلك يوم موقعة بدر ، بعد انتصار المسلمين ، فكان أحد اثنين أمر النبي عليه السلام بقتلها ، لم يعف عنها ، ولم يقبل فيهما فداء " (٢)

ثم جاء الإسلام ، ونزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاءت القصة التي تخبر عن أحوال الأمم السابقة ، وتهدف إلى توحيد الله عز وجل ، وأخذ العظة والعبرة من السابقين ، والإيمان بالقضاء والقدر ، والجدير بالذكر ، أن القصة القرآنية ، اشتملت على جميع العناصر الفنية ، فهناك الأشخاص بمختلف مستوياتها البطولية ، والمحورية ، والثانوية ، والهامشية ، وهناك الأحداث الأساسية والجزئية ، وما يتفرع عنهما ، وهناك عنصري الزمان والمكان . وهناك عناصر أخرى في القصة القرآنية ، لجأت إليها القصة الحديثة ، مثل

الحلم ، وتوظيفه توظيفا دراميا ، يكشف عن تطور الحدث والصراع ، ووجد ذلك في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، حينما رأي في المنام أنه يذبح ولده ، وأيضا رؤيا يوسف عليه السلام " إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " (٣)

فضلا عن الوعاء الذي جاءت فيه القصة القرآنية ، متمثلا في اللغة المشرقة ، في ذروتها العالية ، حيث تعلو وتتعدد مستوياتها العالية ، بالإضافة إلى الحوار الأمثل ، الذي يكشف عن اتجاهات الشخصية ، وابعادها المختلفة ، ومن ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقصة سيدنا محمد مع قومه ، وقصة امرأة فرعون ، وأخبار الأمم السابقة مثل عاد وثمود ومدين وغيرهم .

٢ - السابق ص ١٩-٢٠

٣ - سورة يوسف آية ٤ -

ومن المؤكد أن القصة المعروفة لنا بكل عناصرها الفنية الحديثة ووسائلها المختلفة ، قد وجدت في القرآن ، ولو أن العرب اهتموا بها وانشغلوا بدراساتها ، لكان لهم فضل السبق في إيجاد القصص الفني المتكامل ، لكنهم صبووا اهتمامهم بالشعر والقريض ، فبلغوا فيه مبلغا عظيما .

وجاء العصر العباسي ، ومعه تحولات كبيرة على الصعيدين الفكري والعلمي ، حيث اتسعت رقعة الدولة ، وبسطت سلطانها على معظم أرجاء الأرض ، فكان الإطلاع على الثقافات الأخرى والاستفادة منها ، ثم النقل والترجمة . ومن الكتب المترجمة التي تقترب من القصة بشكل عام . كتاب كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة .

وكليلة ودمنة من جنس القصص على لسان الحيوان أو الخرافة ، ويمكن أن يقال إجمالا ، إنها كانت ، إما فطرية أسطورية ، تشرح ما سار بين الناس من أمثال ، وإما مأخوذة من كتب العهد القديم ، وما عدا هذين فمتأخر عن كليلة ودمنة ومتأثر به ، كما في بعض قصص الجاحظ في الحيوان ، ولكن كتاب كليلة ودمنة ، ذو طابع خلقي وفني انفرد به ، ولذا كان سببا في خلق جنس أدبي جديد ، في اللغة العربية ، قصد فيه إلى تعليم الملوك كيف يحكمون ، والرعية كيف يطيعون " (٤) ولا يخفى ما لهذا الأثر الكبير ، من تأثير واضح على الأدب العربي . وكذلك قصص ألف ليلة وليلة :

وهي تشبه في أصلها كتاب " كليلة ودمنة " ، لأنها ترجع إلى فارسي يسمى هزارفسانه ، وهذا الأخير متأثر في أصله ، وقالبه العام ، بالقصص الهندي ، كما تدل على ذلك طريقة التقديم لكثير من القصص بالتساؤل على نحو ما في كليلة ودمنة ، ثم تداخل القصص في كلا الكتابين ، إذ أن كل قصة رئيسية تحوى قصصا عديدة ، وكل قصة

٤ - النقد الأدبي الحديث - د / محمد غنيمي هلال ص ٩٣ - ٩٤

من هذه القصص الفرعية قد تحتوي على قصة أو أكثر متفرعة منها كذلك ، ويتبع ذلك دخول شخصيات جديدة ، إذا كانت القصة لأشخاص من الناس ، أو دخول حيوانات كذلك ، بدون انقطاع ولأدني مناسبة " (٥)

يأتي بعد ذلك ، من القصص العربية القديمة التي تؤكد وجود فن القصة في التراث العربي " المقامات " وغيرها مثل " رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري ، " وحى بن يقظان " لابن طفيل . (٦)

والمقامات : قصص قصيرة تصور مغامرات أديب متسول يخلب سامعيه بحضور بديهته وبلاغة عباراته ، وفي الحق أن بديع الزمان ، مخترعها ومن جاءوا بعده مثل الحريري لم يفكروا في صنع قصة حقيقية أو أقصوصة ، إنما فكروا في غرض تعليمي ، هو جمع طوائف من الأساليب المنمقة الموشاة بزخرف السجع والبديع " . (٧)

ويعلق أحد النقاد على مقامات بديع الزمان ، وموقعها من مراحل تطور القصة الفنية ، وارتباطها بالمجتمع ، يقول : بدأت بذور القصة الفنية التي تدرس المجتمع ، وتحلل الشخصية وتهتم بالتصميم الفني ، والفكرة الموحدة ، فشخصية " أبي الفتح الاسكندراني " ، تعني من مراحل تطور القصة العربية نفس المرحلة - شخصية " سيروردجر يكفري " من تطور القصة الإنجليزية " (٨)

ومهما يكن من توسلات نقدية ، وجهت إلى التراث العربي القصص ، فإن ألف ليلة وليلة ، ومقامات بديع الزمان ، وغيرها من القصص والحكايات التي وصلت إلينا ، حاول فيها أصحابها تصوير الواقع العربي ، في شتي صوره المختلفة ، وحاولوا تصوير حالة الإنسان

٥ النقد الأدبي الحديث - د / محمد غنيمي هلال ص ٤٩٤

٦ السابق ص ٩٦ - ٩٧

٧ الأدب العربي المعاصر . د / شوقي ضيف ص ٢٠٨

٨ مجلة الرسالة عدد نيسان أبريل سنة ١٩٣٧ ص ٦٥١

العربي واتجاهاته الأدبية والاجتماعية والأخلاقية وموقفه تجاه عصره ، ولا يخفى أن هذا التراث الثقافي القصصي قد ساهم بشكل أو بآخر مباشر أو غير مباشر ، في دعم التيار القصصي الروائي . عند أدباء كثيرين منذ مطلع فجر النهضة - أمثال المويلحي وحافظ إبراهيم - والشدياق واليازجي ، ولا يخفى أيضا أن المقامات ، كان لها الأثر المباشر وراء دفع القصة القصيرة في مصر والعالم العربي خطوات إلى الأمام ، لما بينهما من تشابه كبير فنيا وموضوعيا ، وفي العصور الوسطى كان هناك ، " قصصا شعبيا ، ولكن لم يكن لنا قصص فصيح ، ولما اتصلنا بأوروبا ، وأخذنا نتأثر بآدابها اتجه أدباؤنا إلى القصص الغربي ، وحاولوا أن يترجموه ، وكان رفاعة الطهطاوي هو الرائد لهذه الحركة ، فترجم مغامرات تليماك " لفنلون " ، وسماها مواقع الأفلاك في وقائع تليماك " (٩)

وفي مرحلة أخرى من مراحل التطور الاجتماعي على مستوى الفن الروائي ، كانت محاولات رفاعة الطهطاوي في كتابيه " تلخيص الإبريز " و " وقائع تليماك " بداية مرحلة جديدة في الرواية العربية يقول د / عبد المحسن طه بدر " يعتبر رفاعة رافع الطهطاوي أول من وضع البذور الأولى لنشأة الرواية التعليمية ، في كتابه المؤلف " تلخيص الإبريز " وفي روايته المترجمة " مغامرات تليماك " - ويعطي الناقد الأهمية الأولى لوقائع تليماك . كعلامة واضحة كان لها الأثر المباشر في نشأة الرواية التعليمية ، يقول :

نحن مدينون لرفاعة فيما يتصل بنشأة الرواية التعليمية ، براويته المترجمة - وقائع تليماك - أكثر مما ندين له ، في كتاب تلخيص الإبريز ، وتعد وقائع تليماك أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي ، في مصر في القرن التاسع عشر ، والهدف

٩ - تطور الرواية العربية الحديثة د / عبد المحسن طه بدر ص ٥٨

التعليمي واضح من المقدمة التى كتبها رفاعه للرواية المترجمة ، وسماها ديباجة الكاتب " (١٠) "

وقد أمتد هذا التيار التعليمي ، في هذه الفترة ، عند على مبارك ، فى روايته علم الدين ، وأخذ فى التطور على يد محمد المويلحى ، وحافظ إبراهيم ، وغيرهم من الكتاب ، الذين عنوا بمثل هذا النوع الروائي ، وجاء هذا التطور ، متضمنا الهدف من وراء الجنس الروائي ، فى مجال الإصلاح والتهديب والتعليم ، وبذلك اختلفت طبيعة الرواية التعليمية فى القرن العشرين عنها فى القرن التاسع عشر ، وبعد أن كانت الرواية التعليمية تتجه إلى تعليم علوم الغرب ، أصبحت وظيفتها منصبة على الإصلاح الاجتماعي ، بتوجيه النقد إلى بعض المظاهر الاجتماعية الغربية التى انتقلت إلى مجتمعنا " (١١) "

وقد ظهر ذلك فى حديث عيسى بن هشام ، وليالي سطيح ، وغيرها من الأعمال ، وهى لا تبعد عن التراث كثيرا ، فحينما كتب محمد المويلحي ، حديث عيسى بن هشام ، كان يهدف إلى نقد المجتمع ، وتصوير ما فيه من سلبيات ، فأثر " أن تكون على نمط مقامات بدیع الزمان الهمداني ، والحريري ، ينقد فيها ما رأي في زمنه ، وما حوله من ضعف أو خلل أو فساد ، فكانت صورته عن الشرطة والنيابة والمحامى الأهلي ، والمحامي الشرعي ، والطب والأطباء ، والمحاكم ، والأعيان ، والتجار ، وأرباب الوظائف ، والعمدة ، والمدنية الغربية وغيرها " (١٢) "

وكما أن المجتمع المصري الحديث واضحا فى حديث عيسى بن هشام ، فإن الصلة بالتراث واضحة ، من حيث الأحداث ، والشكل الفني التى وردت فيه " فهو فى

١٠ - السابق ص ٦٣

١١ - السابق ص ٧٣

١٢ - القصة القصيرة دراسات ومختارات - د/ الطاهر مكي ص ٨٦

تسميته يقترب من الشكل الاصلاحي للمقامة ، التي كانت قريبة في معناها من كلمة حديث ، ثم إنه اختار أن يكون الحديث لعيسي بن هشام وهو بطل مقامات بديع الزمان الهمذاني " (١٣)

وتستمر مسيرة العمل الروائي ، مارة بدروب واتجاهات متعددة ، ما بين جمود وتطور ، وإطلاع على الفكر الغربي ، ومحاولة تقليده ، أو محاولة النقل عنه ، والتأثر به ، فظهرت

رواية التسلية ، ورواية التاريخ ، أي الرواية التاريخية ، التي تعتمد في اقتباس أحداثها وأشخاصها من كتب التاريخ ، ومن ذلك رواية زينوبيا ، لسليم البستاني ، وحضارة الإسلام في دار السلام ، لجميل نخلة المدور ، ثم ظهور الاتجاه التاريخي الواضح في روايات جرجي زيدان ، وإن كان مقرونا بنوع من التسلية ، التي حرص عليها ، خاصة وأنه يريد جذب القراء ، إلي مجلته الهلال ، فعمد إلي ، " أن يعلمهم التاريخ بالوسيلة التي تروقهم ، وذلك بأن يقدم لهم التاريخ من ناحية والقصة الغرامية ، التي تسليهم ، وتجذبهم إلي قراءة التاريخ من ناحية أخرى ، وبذلك حاول جرجي زيدان أن يجمع بين التسلية وبين التعليم ، فهو لم يتجه إلى التعليم الخاص ، كما اتجه أصحاب التيار الأول ، الذين تحدثنا عنهم ، ولم يتجه إلى التسلية ، كما اتجه كثير من الكتاب ، بل وقف في مركز متوسط بين الفريقين " (١٤)

واستمر هذا التيار ، وتأثر به من جاء بعده ، ويظهر ذلك في روايات عشق المرحوم مصطفى كامل وأسماء عشيقاته ، ورواية الدمع المدرار في المصائب والمضار " (١٥) ورواية سعاد لعبد الحليم العسكري ، (١٦)

١٣ - تطور الرواية العربية الحديثة د / عبد المحسن طه بدر ص ٧٣

١٤ - السابق ص ٩٨

١٥ - ذكر د / عبد المحسن طه بدر أسماء هذه الروايات وأشار إلي أنها مجهولة المؤلف ص ١١٦-١١٨

١٦ - السابق ص ١١٦-١١٨

وتنتقل الرواية ، في العقد الثاني من القرن الماضي ، إلى مرحلة متقدمة ، من الناحية الفنية والموضوعية حيث اكتملت فيها ، عناصر البناء الفني للرواية ، أسلوبا ، وأشخاصا ، وأحداثا ، وموضوعا وغدت الرواية فنا ، يقبل عليه الخاصة والعامة ، فقد تنوعت اتجاهاته ، فأصبحت هناك ، الرواية الاجتماعية ، والتاريخية ، والدينية ، إلي غير ذلك من الأنواع الروائية .

واتفق مؤرخو الأدب ، على أن الرواية الأولى ، التي تحمل ملامح فنية وموضوعية واضحة ، هي رواية " زينب " للدكتور / محمد حسين هيكل ، حيث كانت محاكاة للواقع الاجتماعي وتصويره ونقده ، وبرزت فيها العناصر الفنية واضحة ، (الأشخاص - اللغة - الحوار - الأحداث - الزمان والمكان) .
وعن مظاهر نمو الرواية وتطورها يقول د . أحمد هيكل :

وقد تمثل نمو الرواية الفنية ، خلال هذه الفترة ، في وفرة الأعمال الروائية ، وتعدد ألوانها ، حتى كانت كالشجرة ، ذات الفروع العديدة ، والأزهار المختلفة الألوان ، كما تمثل نضج الرواية الفنية ، خلال هذه الفترة ، في مراعاة الأصول الفنية المقررة ، وتحقيق العناصر الروائية الصحيحة ، ثم تمثلت قوة الرواية الفنية ، في مؤازرة بعض الكتاب الكبار ، وتقديمهم محاولات ناجحة ، في ميدانها " (١٧)

ولم يقتصر النمو التدريجي للفن الروائي ، على الحبكة الفنية ، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك ، فعلى الصعيد الموضوعي ، نلاحظ التعدد الواضح ، من حيث الاعتماد على البطل ، أو مجموعة الأبطال ، وتحليل الدوافع الخارجية والداخلية ، وما يعتمل في نفوس هؤلاء ، الأشخاص علي صفحات الرواية ، ووجدت الموضوعات ، التي تتمثل فيها التجارب الذاتية لكتابتها ، مثل الأيام ، لطفه حسين ، كذلك وجد اللون

^{١٧} - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل ص ١١١

الروائي الذي يعتمد على الفلسفة العقلية ، كما في رواية توفيق الحكيم عودة الروح ، إلى آخر ذلك من الأنماط الاجتماعية ، والتاريخية ، والدينية .

ومما لا شك فيه أن الرواية ببلوغها هذه المرحلة ، قد استطاعت أن تستلهم الواقع الاجتماعي . وتعبّر عن أمانيه وتطلعاته ، وتعالج مشكلاته المتعددة ، وتنتقد الظواهر والعادات السلبية .

ومن الناحية النقدية فقد صنفَت روايات هذه المرحلة ، من بداية العقد الثاني من القرن الماضي إلى :

١- الرواية التحليلية :

" وهي التي يبرز فيها جانب التحليل النفسي ، حتى يكاد يطغى على بقية عناصر الرواية ، كالأحداث والشخصيات والحوار ، وغير ذلك من المقومات الفنية ، التي تأتي في المكان

الثاني أو ما دون الثاني ، حيث يتصور جانب التحليل النفسي للبطل ، وحشد كل ما يمكن من هذا التحليل ويعين عليه من معرفة ماضي هذا البطل وبيئته ، وما تكون لديه من عقد ، أو ما ضج به عالمه النفسي من صراعات ، ^(١٨) ويمثل هذا اللون باتفاق النقاد والباحثين رواية " ثريا " لعيسي عبيد ورجب أفندي لمحمود تيمور ، وأديب لطف حسين .

٢- رواية التجربة الذاتية أو الترجمة الذاتية :

وفي هذا النوع يتخذ الأديب من حياته ؛ وما صادفه مادة أدبية ، يصيغها في قالب روائي معتمدا على العناصر الأساسية للفن الروائي ، ويكون فيها الفرق واضحا ، بين الترجمة الذاتية والتجربة الشخصية من حيث " اختيار الأحداث ، اختيارا فنيا صالحا

^{١٨} - السابق ص ١٤٩ - ١٥٠

للتأليف الروائي ، وعدم حشد تلك الأحداث كأنها تاريخ يدون ، بل عرضها كعناصر
روائية تنمو وتتطور ، لكي تصل إلى نهاية معينة ، وذلك بتدخل المؤلف في ترتيبها
ترتيباً ، يحقق الفنية القصصية ، وعدم الاكتفاء بإيرادها حسب وقوعها الزمني "(١٩)
ويمثل هذا النوع إبراهيم الكاتب - للمازني ، وسارة للعقاد ، وعصفور من الشرق
لتوفيق الحكيم ، ونداء المجهول لمحمود تيمور .

١- رواية الطبقة الاجتماعية :

ويعني بها الرواية الاجتماعية ، التي تهتم بقضايا المجتمع ، من فقر وعادات سلبية ،
يحاول الكاتب علاجها ، وتقديم الحلول الناجعة لها ، ويعتمد في ذلك على جعل
الأحداث والشخصيات محل اهتمامه ، والتغلغل داخل الطبقات المختلفة المتعددة ،
وتصوير كل التناقضات وتقديمها ، واقتراح الحلول لعلاجها ، أو إظهارها في صورتها
الحقيقية مقرونة بالنقيض دون أن يشعر القارئ بأنه يقدم الحلول السهلة في هذا الشأن
، ويمثل هذا النوع حواء بلا آدم . لمحمود طاهر لاشين ، ودعاء الكروان لطف حسين
". (٢٠)

٢- الرواية الذهنية : (٢١)

ويقصد بها الرواية التي يقدم بها المؤلف فكرة ذهنية ، يؤمن بها ، ويريد أن يؤمن بها
الآخرون ، فيعبر عنها في قالب روائي ، تكون هذه الفكرة الذهنية هي مغزاه ومضمونه
أو الهدف الرئيسي الذي تشير إليه .

وهذه الفكرة الذهنية ، قد تكون فلسفية وجودية ، أو فكرة دينية ، أو واقعية ،
اجتماعية ، وقد تكون نفسية اجتماعية ، وأيضاً قد تكون مذهباً اعتنقه الأديب ،

١٩ - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل ١٤٩ - ١٥٠

٢٠ انظر في ذلك الترتيب - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل ص ١٥٠ وما بعدها .

٢١ - السابق ص ٢٢٨

ويحاول إرساء قواعده ، أو توصيله للآخرين عن طريق الرواية ، ويمثلها رواية ، عودة الروح لتوفيق الحكيم ، رغم اختلاف النقاد في تصنيف هذه الرواية - إلا أنها تمثل الاتجاه الذهني يقول د. أحمد هيكل : يبرز الخيط الذهني الذي يطغي علي بقية الخيوط حتى يكاد يخفيها ، ولذا كان طابعها الواضح هو الطابع الذهني ، الذي يوشك أن يخفي كل ما سواه . (٢٢)

ومن الذين صنفوها ، ضمن رواية الترجمة الذاتية ، د. عبد المحسن طه بدر يقول : في عودة الروح لتوفيق الحكيم تلتقي بأنجح المحاولات ، التي استغلت الترجمة الذاتية ، لتقديم لنا رواية فنية حققت قدرا كبيرا من النجاح " (٢٣)

وقد أكد الناقد على ذلك حينما اعتبر عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، ويوميات نائب في الأرياف ، سلسلة متصلة ، يستعرض فيها مراحل حياته المختلفة (٢٤)

٣- الرواية التاريخية :

وهي التي تستلهم أحداثها من كتب التاريخ . وإما أن تقصد إلي تعليمه ، ويكون صبه في القالب الروائي ، لإساغته ، وتحسين عرضه ، وهذه هي الرواية التاريخية التعليمية ، وإما أن تقصد إلي إحياء الماضي وتمجيده ، ويكون عرض التاريخ في قالب روائي ، خدمة لهدف قومي ، أو تعبيراً عن إحساس وطني ، وهذه هي الرواية التاريخية القومية (٢٥) .

٢٢ - السابق ص ٢٢٩

٢٣ - تطور الرواية العربية الحديثة - د. عبد المحسن طه بدر ص ٣٧٦

٢٤ - السابق ص ٣٨٣

٢٥ - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل ص ٢٤٢

١ - الرواية ووظيفتها الإنسانية والاجتماعية :

الرواية فن أدبي مستقل ، له خصوصيته ، وذاتيته ، إذ هو فن يتسع لدراسة العلاقات المتشابكة ، والمتشابهة داخل المجتمع ، فيفرز لنا النماذج البشرية ، في شكل نقبله ، إذا تمثلت فيه ، ملامح الخير ، والبطولة ، والدعوة إلى الإصلاح ، وشكل نحاول أن نتجنبه ، إذا بدا وكأنه رمز للتخلف والفساد ، والدعوة إلى الرذيلة ، على ذلك فالفن الروائي يجنح غالبا إلى التهذيب ، والإصلاح ، ويقدم العلاج الأمثل ، ويساعد في حل المشاكل الإنسانية والاجتماعية ، والأمراض الناتجة عن التردّي ، في هوة التخلف والتقهقر الاجتماعي والأخلاقي .

والرواية ، علي الرغم من قربها ، واهتمام المفكرين ، والأدباء بها ، لم تحظ ، بتعريف محدد لها ، بل تعددت التعريفات وتباينت ، نتيجة لاختلاف الدارسين ، والنقاد في الزاوية التي ينظرون إليها عند تعريفها ، فكان منها ، ما ينطبق على اتجاهاتها الموضوعية ، ومنها ما ينطبق ، على الشكل الفني ، ومنها ما هو نتيجة تجارب ، خاضها الأديب أو الناقد ، لمحاولة التغلغل داخل أعماق النص الروائي .

يقول أرنست بيكر : " إن الرواية تفسير للحياة الإنسانية ، من خلال سرد قصصي نشري " (٢٦) ويقول دوبرية : " هي ذلك الشكل الأدبي ، الذي يقوم مقام المرأة للمجتمع ، مادتها إنسان في المجتمع ، أحداثها نتيجة لصراع الفرد ، ضد الآخرين ، للملاءمة بينه وبين مجتمعه ، وينتج عن هذا الصراع ، خروج القارئ ، بفلسفة ما ، ورؤيا عن الإنسانية . " (٢٧)

من خلال التعريفين السابقين ، نري أن الرواية ، فن أدبي له شكل مغاير للأشكال الأدبية الأخرى ، كذلك نجد الصلة ، وثيقة بينه وبين المجتمع ، هذه الصلة تبدو

٢٦ - باتوراما الرواية العربية الحديثة د . سيد حامد النساج ص، ١٥
٢٧ - باتوراما الرواية العربية الحديثة د . سيد حامد النساج ص، ١٥-١٦

واضحة في النماذج والأشخاص ، التي تحرك الأحداث ، وتقودها إلي الأمام ، ويكون بذلك مرآة المجتمع ، يهتم بصراع الفرد ، والجماعات ، ويكشف الأنماط الوجدانية المختلفة ، الكامنة داخل الشخصية ،

ويقول د. محمد غنيمي هلال : عن تعريف القصة وقد جعلها أكثر اتساعا ، وشمولية ، إذ تتضمن جوانب عديدة ، من الحياة والتجارب الإنسانية : " القصة كالحياة معقدة ، متعددة الجوانب ، ممتدة ، حية المعالم ، وقصد المؤلف فيها إلي حكاية الفشل أو النجاح ، أقل من قصده إلي عرض مناظر ، وتحليل شخصيات ، ترمي إلي هدف واحد ، يتصل بحال الإنسان ، في موقف خاص ، وما يحيط به من بؤس ، وبما منح من إرادة ، ويتكشف هذا كله ، عن فكرة كبيرة ، هي بيان موقف إنساني يكون فيه جهد الإنسان ذا معني " (٢٨)

وبالنظر إلي هذا التعريف الشامل ، نجد أنه أولاً : لا يفرق بين القصة والرواية ، فيصف القصة بوصف الرواية ، وأنه ثانياً : يحدد ماهية الرواية ، بشكل أوضح وأعم ، فالقصة كالحياة معقدة ، أي أنها مرتبطة بمشاكل الحياة وأمورها ، فلا تستطيع أن تتعزل عن حياة الفرد والجماعة ، وكلمة معقدة يرمي بها إلي الشكل الفني المتعارف عليه في الرواية ، إذ هي لا تبدو رواية ، فنية متكاملة الجوانب ، إذا فقدت أحد عناصرها الفنية المعروفة والمتشابهة ، لذلك يشير الناقد إلي الصعوبات الكبيرة التي تواجه الأديب الروائي ، " عرض مناظر وتحليل شخصيات " فالكااتب يجنح أحيانا ، إلي التصوير الفني ، الذي يبرز روعة في توظيف الأسلوب ، وجذب القارئ وجعله مهتما بما يقول ، ويحتوي التعريف على ميزة كبيرة ، وهي أهمية الرواية ، وإظهار

المواقف الإنسانية ، التي لها قيمة ومعني ، فالحق أن الرواية يجب ، أن تحتوي على قيمة اجتماعية ، أو فضيلة يحاول الكاتب إرسائها .

ويقول ا. م فورستر " في تعريف الرواية " الرواية هي الرواية ، لا أعرف ما الرواية ، لكنني أفترض أنها نوع من سرد الحكايات ، ويقول في إجابة أخرى ، إنها سرد قصصي طبعا ، ويقول الرواية تروي قصة " (٢٩)

ويقول الدكتور عبد الفتاح عثمان : في تعريف الرواية . الرواية ما هي إلا حكاية تروي عن الناس ، من حيث الأحداث التي تقع لهم ، وموقفهم من هذه الأحداث ، وتفسيرهم لها في صياغة فنية ، تقدم فيها المشاهد بطريقة متماسكة ، بحيث تنمو وتتأزر بمنطق السببية للوصول إلي الخاتمة " (٣٠)

ويقول الدكتور محمد زغلول سلام : في تعريف الرواية :

الرواية يعالج فيها المؤلف موضوعا كاملاً ، أو أكثر زاخرا بحياة تامة واحدة ، أو أكثر ، فلا يفرغ القارئ منها إلا وقد ألم بحياة البطل ، أو الأبطال ، في مراحلهم المختلفة ، وميدان الرواية فسيح أمام القاص ، يستطيع فيه أن يكشف الستار ، عن حياة أبطاله ، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الوقت " (٣١)

ويقول الدكتور محمد يوسف نجم في تعريفه للقصة بوجه عام :

القصة مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب ، وهي تتناول حادثة واحدة ، أو حوادث عدة ، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة ، تتباين أساليبها وتصرفها في الحياة ، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض ، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثير والتأثير " (٣٢)

٢٩ - أركان الرواية - ا. م فورستر ترجمة موسى عاصي ص ٢٣

٣٠ - بناء الرواية - دراسة في الرواية المصرية - د . عبد الفتاح عثمان ص ١٧

٣١ - دراسات في القصة العربية الحديثة - أصولها - اتجاهاتها - أعلامها - د. محمد زغلول سلام ص ٩

٣٢ - فن القصة - د . محمد يوسف نجم ص ٩

ويقول محمود تيمور : في تعريف القصة :

" القصة مرآة عصرها ، لفظا ومعني ، شكلا وموضوعا ، أو شكلا ومضمونا ، كذلك كانت ؛ وكذلك تكون ، فإن لم تكن كذلك ، فهي تزوير على الأدب عامة ، وعلى الفن خاصة ، بل هي كذلك تزوير على المجتمع ، الذي تتناوله ، إن سلمت أن تكون تزويرا على الإنسان بإطلاق " (٣٣)

ويقول في موضع آخر : " والقصة لا تتوفر لها إنسانيتها ، بما فيها من روعة الأحداث ، وجمال الصور ، ولطف المحاورات ، ولكن لا تتوفر لها الإنسانية ، بأن يكون ذلك كله

صادقاً علي الطبع البشري ، دقيقاً في تصوير النزعات ، حين تتأثر بما يجري ، وتؤثر فيما يكون " (٣٤)

وبالنظر في التعريفات السابقة ، نجد أن الفن القصصي ، هو محاكاة الواقع وتفسيره ، عن طريق تقديم النماذج الاجتماعية ، في شكل أشخاص ، ومواقف وقضايا ، يبدو فيها التباين أو الاتفاق حسب الطبيعة البشرية ، مع الاعتماد على الأسلوب الملائم ، والصور الرقيقة ، والتشبيهات الجميلة ، التي تبرز الخير وجماله ، وتتفر من الشر وقبحه ، بالإضافة إلى ما نبه إليه الأديب محمود تيمور ، من ضرورة توفر عنصر الصدق ، وموافقة ذلك للطبع البشري ، وينبه إلى أن الفن الحقيقي هو الذي ، يهدف إلى تركية الخير ، والتأكيد عليه ، يقول : والفن يرمي إلي الخير ، ولا يكون الفن فنا ، إلا إذا كان الخير وجهته ، والفنان لا يكون فنانا ، إلا إذا كان الخير وحي فنه وغايته " (٣٥)

٣٣ - القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى - محمود تيمور ص ٩١

٣٤ - الأدب الهادف - محمود تيمور ص ١٧٠

٣٥ - دراسات في القصة والمسرح - محمود تيمور - ص ٦ - مكتبة الآداب

ويلاحظ أن هؤلاء يمثلون أولئك الدارسين ، الذين أداروا ، تعريفاتهم حول المضمون أو المحتوي ، وهناك جماعة آخرون ، أداروا نظرهم حول الحجم ، فجعلوا منها الرواية ، والقصة الطويلة ، والقصة القصيرة ، والأقصوصة ، واصطنعوا لكل تعريفًا مميزًا ، وهناك من قصرُوا الرواية على القصة التاريخية ، وأطلقوا القصة بأنواعها على غير التاريخية ، وهناك من أطلقوا الرواية على القصة الخيالية الأسطورية " (٣٦)

٢- أهمية الرواية بالنسبة للمجتمع :

للرواية مهمة كبيرة في توجيه المجتمع ، بل إن بعض الأنواع الروائية ، نشأت في عصر اقتضي ضرورة وجوده ، من ذلك القصص التاريخي ، كما أشار إلى ذلك جملة كبيرة من النقاد ، الذين عزوا ظهور الجنس ، إلى حس قومي ووطني ، تطلبت أحوال البلاد يقول د . مراد عبد الرحمن مبروك :

" يعد العامل القومي أو الوطني ، من أهم العوامل ، التي دفعت الكتاب للعودة إلى تراثهم " (٣٧) ويذهب إلي أبعد من ذلك ، حيث يرى أن نشأة الرواية الفنية في مصر استندت على ملامح وطنية بالدرجة الأولى ، فيقول : إن نشأة الرواية الفنية في مصر ارتبطت بالوعي القومي المصري . " (٣٨)

وعلى ذلك فإن النشأة الروائية لم تكن ، على سبيل التسلية والترفيه ، على قدر ما كانت مقدرات الحياة والعصر في حاجة إلى زرع لبنات الوعي ، والتطلع إلى آفاق الحرية المطلقة ، وقد قامت الرواية على اختلاف اتجاهاتها الموضوعية ، بتحريك

٣٦ - في الأدب العربي المعاصر - د. إبراهيم عوضين ط ١ سنة ١٩٧٥ القسم الأول ص ١١٦ وما بعدها . وانظر كذلك دراسات في القصة العربية الحديثة ص ٥٦ وما بعدها ، والقصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى ١٩٢٠ ص ٧٣ وما بعدها . تطور فن القصة القصيرة في مصر ١٩١٠ - ١٩٣٠ ص ٢١ وما بعدها ، والقصة في الأدب العربي - د . متولى البساطي ص ٧٩ وما بعدها .

٣٧ - العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر - دراسة نقدية (١٩١٤-١٩٨٦) مراد عبد الرحمن مبروك ص ٢٧

٣٨ - السابق ص ٢٧

الضمير القومي وهي في سبيل ذلك ، قفزت على المستوي الفني ، إلى درجات مقبولة من الإشادة والتطوير .

ويذهب د. سيد حامد النساج ، إلى أن الرواية تقوم بدور تثقيفي وتعليمي فيقول :
إن الرواية تقدم للأذهان الوضعية ، الدراسات الاجتماعية ، التي يغذيها اليوم ، الاهتمام بما تقدمه البلدان النامية ، وتقدم للنفوس الحساسة ، ألعاب التحليل النفسي المرفهة والمخيفة ، كما تقدم للإنسان الباحث عن مصيره تساؤلا ، دائما عن الوضع البشري ، كما تقدم للجميع المتع الطفولية ، التي يثيرها عنصر القص والتشويق ، والحكاية المؤثرة والمغامرة ، وما شابه ذلك " (٣٩)

ويتفق البعض على أن مهمة الرواية ، تتركز في أمور ، من أهمها أنها تدرس الإنسان وحياته ، بجانب عدم تخليها عن الناحية التعليمية والتثقيفية . يقول عيسى عبيد عن الهدف الأسمى للرواية " يجب أن يكون التحري عن الحياة وتصويرها بأمانة وإخلاص كما تبدو لنا ، وجمع كمية كبيرة من الملاحظات والمستندات الإنسانية ، بحيث تكون الرواية عبارة عن " دوسيه " يطلع فيه القارئ على تاريخ حياة إنسان ، أو صفحة من حياته ، ويجمل بالكاتب ، أن يدرس فيها أسرار ، الطبيعة البشرية وخفايا القلب الإنساني الغامض ، وذلك مع بعض التحفظ ، في إبداء حكمه وآرائه الشخصية (٤٠) ويستمر الكاتب ، في سرد الأهمية الروائية ، مؤكدا على ضرورة التغلغل في أعماق النفس البشرية ، وكشف ما بها من غموض ، في صورة فنية راقية .

وعند سيد قطب : " القصة هي التعبير عن الحياة " (٤١) وهنا تأكيد على معان ، ومضامين ووظائف قصصية وروائية ، متسعة الاتجاهات ، فإذا كانت القصة تعبير

٣٩ - بانو راما الرواية العربية الحديثة - د. سيد حامد النساج ص ١٧

٤٠ - مقدمة إحسان هاتم - عيسى عبيد ص ج - الدار القومية للطباعة والنشر .

٤١ - النقد الأدبي الحديث أصوله ومناهجه - سيد قطب ص ٧٥

عن الحياة ، فهي إذن أعم الفنون وأكثرها شمولية ، لملابسات وإشكاليات الحياة ، بكل أنواعها المتعددة والمعقدة ، وكاتبها يستطيع أن يستوعب أكبر الأحداث والشخصيات والأماكن والأزمنة ، ليقدمها لنا في صورة تعبيرية تهييضية أخلاقية ، بقصد الإصلاح الاجتماعي ، ودفع المجتمع من خلال الفن الصادق .

وعند جماعة الديوان " العقاد ، شكري ، المازني " نجد أن المهمة الوظيفية للرواية عندهم ، قد ارتبطت بمقاييس مذهبهم الجديد في الشعر والفن على حد سواء ، إذ هي مهمة ترتبط بتصوير جوهر النفس البشرية ، كما جاء في مقدمة الديوان " وأقرب ما تميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري ، عربي إنساني ، لأنه من ناحية يترجم عن طبع الإنسان ، خالصا من تقاليد الصناعة المشوهة ، ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الإنسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة " (٤٢)

وفي نظر إبراهيم المازني ، أن الرواية تصور جانبا أو جوانب من الحياة ، بخلقها عوالم ، تصور فيها النفوس البشرية ، فهي تعالج أو تصور النفوس البشرية ، وتلتمس ما وراء الأحاسيس والنبضات من معان وقيم ، تتضح للذهن المتيقظ ، وتتكشف للعين البصيرة النفاذة " (٤٣)

ويرمي المازني بالمسؤولية الكبرى على الروائي ، في قدرته على التصوير ، فيقول : وما الحياة إلا رواية كبرى ، ومهمة الروائي أن يجعلنا نطالع منها كلمات أو سطورا ، من فصولها الضخمة فليست مهمة الرواية محض حادثة تروي ، بل تصوير الحياة ، في ناحية أو أكثر من نواحيها . وهذا يتطلب خبرة بها وفهما لها ، أو فطنة تغني عن

٤٢ - الديوان في الأدب والنقد - العقاد - المازني ص ٨

٤٣ - نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر - د . أحمد إبراهيم الهواري ص ١٣٧ - دار المعارف .

التجربة ، والمعاناة ، والخبرة وحدها لا تكفي ، بل لابد إلى جانبها من القدرة على الأداء ، وتلك ملكة أخرى مستقلة " (٤٤)

ونستطيع أن نتوصل إلى نتيجة هامة من خلال ما سبق ، وهي أن مهمة الرواية ، ووظيفتها بالنسبة للمجتمع ، عند جماعة الديوان ، لا تختلف عن مهمة الشعر عندهم كثيرا ، وهو في نظرهم تعبير عن الوجدان في أسمى معانيه ، والرواية كذلك عندهم تعبير عن الإنسان والحياة ، إذ يجب أن يضع الروائي نصب عينيه ، الإنسان ومعاناته ، ومكابداته في معترك الحياة ، شقاؤه ، وسروره ، حزنه وفرحه .

وعند يحيى حقي ، ترتبط الوظيفة الروائية بالإنسان ووجوده ، وتهتم به وبعلاقاته ، ومشاكله في الحياة بشكل عام . يقول : لم تعد الرواية تقصد التسلية ، بل معالجة ، قضايا وجود الإنسان غير ناظرة إليه مفتتا كما تفعل العلوم ، بل تتناوله كلا متكاملا ، الإنسان في الرواية ليس بطاقة ، أو رقما ، أو ملفا ، أو رسما بيانيا ، أو نباتا منتزعا من جذوره ، بل كائن ينبض بالحياة ، مندرس في نسيج معقد ، من علاقات متبادلة تجمع بين النقيضين ، فهو فذ ومتشابه متفرد وملتحم ، من خلال تليفق الرواية ، تصل إلي الصدق " (٤٥)

ويتضح مما سبق الاهتمام بالإنسان داخل المجتمع ، والتأكيد على ضرورة الاهتمام بالمشاعر والأحاسيس ، والصدق وتقديم المساعدات والحلول المباشرة لمشاكل الإنسان الخارجية والداخلية .

٤٤ - السابق ص ١٣٨

٤٥ - السابق ص ١٤٠

الهوامش

- ١ - القصة القصيرة دراسات ومختارات - د/ الطاهر مكي
- ٢ - سورة يوسف الآية ٤
- ٣ - النقد الأدبي الحديث - د / محمد غنيمي هلال
- ٤ - الأدب العربي المعاصر . د/ شوقي ضيف
- ٥ - مجلة الرسالة عدد نيسان أبريل ١٩٣٧
- ٦ - تطور الرواية العربية الحديثة د / عبد المحسن طه بدر
- ٧ - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل
- ٨ - بانو راما الرواية العربية الحديثة د . سيد حامد النساج
- ٩ - أركان الرواية - ا. م فورستر ترجمة موسي عاصي
- ١٠ - بناء الرواية - دراسة في الرواية المصرية - د . عبد الفتاح عثمان
- ١١ - دراسات في القصة العربية الحديثة - أصولها - اتجاهاتها - أعلامها - د. محمد ز غلول سلام
- ١٢ - فن القصة - د . محمد يوسف نجم
- ١٣ - القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى - محمود تيمور
- ١٤ - الأدب الهادف - محمود تيمور
- ١٥ - دراسات في القصة والمسرح - محمود تيمور
- ١٦ - في الأدب العربي المعاصر - د. إبراهيم عوضين . وانظر كذلك دراسات في القصة العربية الحديثة ص ٥٦ وما بعدها ، والقصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى ١٩٢٠ ص ٧٣ وما بعدها . تطور فن القصة القصيرة في مصر ١٩١٠ - ١٩٣٠ ص ٢١ وما بعدها ، والقصة في الأدب العربي - د . متولى البساطي ص ٧٩ وما بعدها .
- ١٧ - العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر - دراسة نقدية (١٩١٤-١٩٨٦)
- مراد عبد الرحمن مبروك
- ١٨ - مقدمة إحسان هانم - عيسى عبيد

- ١٩- النقد الأدبي الحديث أصوله ومناهجه - سيد قطب
- ٢٠- الديوان في الأدب والنقد - العقاد - المازني
- ٢١- نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر - د . أحمد إبراهيم الهواري